﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ٣٥ فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا ٣٦﴾ [الفرقان: 35 - 36]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

عِـبَرٌ مـن مَصير الأُمـم الماضية؛ ليتّعظَ المشركون ويـرتـدِعـوا عن كُفرِهِم

بعد بيانِ شُبُهاتِ المشركين حولَ القرآن والنّبوّة والبعثِ، وبعدَ دحضِ شُبُهاتِهم في الدّين؛ عرض الحقُّ ﷻ قصَصَ بعض الأنبياء مع أقوامِهم، وما آلَ إليه أمرُهم ومصيرُهم في وقوع العذاب عليهم بعدَ أن كذّبوا الرّسل؛ ليتّعظَ المشركون ويرتدعوا عن كفرهم، ويتجنّبوا مصيرَ مَن سبقهم إذا أصرّوا على كفرِهم وعنادهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: (كتب) الكتابة معروفة، والكتابُ هو الصّحيفة الّتي كُتِب فيها، والمعنى المِحوريّ للكتاب: هو الإلصاقُ بقوّةٍ ودِقّةٍ، ففِعْلُ الكتابةِ يكون بإلصاق الكلام، بتثبيت حروفِه في وجه الحَجَرِ أو الجِلْد بقوّةٍ، بما يصعب إزالتُه[1]، والمقصود من ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الّذي أوتيَه موسى عليه السلام في الآية الكريمة هو التّوراةُ.

2) ﴿وَزِيرٗا﴾: (وزر) هو الحِملُ الثّقيل مِنَ الآثام والذّنوب[2]، والوزير سُمّي كذلك لأنّه يحمل الثِّقَل عن صاحبه، ثمَّ عُبِّر عنه بالذّنوب والآثام؛ تشبيهًا بثِقَل الجَبَل، فهو يُثْقِل صاحبَه[3]؛ فمعنى الوزير في الآية: المُعينُ والظّهيرُ.

3) ﴿فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ﴾: (دمر) ومنه: الدّمار؛ وهو استئصالُ الهلاك،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المُفرَدات، وجبل، المُعجم الاشتقاقيّ المُؤصَّل: (كتب).
(2) الخليل، العين، والجَوْهريّ، الصّحاح: (وزر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المُفرَدات، والسَّمين، عُمدة الحُفّاظ: (وزر).

والتّدمير: إدخالُ الهلاك على الشّيء، والرّجلُ الدّامِر: الهالكُ الَّذي لا خيرَ فيه[1]، وليس في القرآن الكريم منَ التّركيب إلّا التّدمير بهذا المعنى[2]، ومعنى التّدمير في الآية أنّ الحقّ سبحانه عذّبَهم وأهلكهم إهلاكًا بالغَرَق[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لا مَفرّ من عذابِ اللهِ تعالى كما في قِصّة موسى وعاقبة فرعونَ

تهديدٌ منَ الحقّ ﷻ موجَّهٌ إلى الكافرين من قوم الرّسول مُحمّدٍ ﷺ ممّن خالفوا دعوتَه، بعذابٍ شديد يُحذِّرهم فيه من عاقبةٍ وخيمةٍ مشابهةٍ لِما حَلّ بالأُمم الماضية الَّتي كَذّبت رسلَه، فيبدأ اللّه تعالى بذِكْر قصّة موسى عليه السلام، وكيف بعثه مع أخيه هارون نبيًّا ووزيرًا له، فكذّب فرعونُ وجنودُه موسى وهارون، فأنزل اللّهُ تعالى عليهم عذابًا مُهلكًا، ودَمَّرهم تدميرًا[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو ودلالتُها في ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾:

استئنافٌ لتسليَةِ الرسولِ الكريمِ وتأكيدِ الهدايةِ والنّصرِ له

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ دالّةٌ على الاستئناف، والجملةُ تُقدِّم سياقًا منَ التَّسلية للرّسول ﷺ، وتؤكّد له الوعدَ بالهداية والنَّصر؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: 31]، وتُضفي عليها المزيدَ منَ القوّة والثّبات في نفس الرّسول، وتقدّم حكايةً إجماليّة لِما جرى بينَ الأنبياء عليهم السلام وأقوامهم[5]؛ ربطًا للماضي بالحاضر، وتلميحًا إلى أنّه تعالى قد نصر عبادَه في الماضي، وسينصرُهم في المستقبل أيضًا، كما أنَّ في ذِكْر عاقبة الأُمم الَّتي كذّبت رسلَها موعظةً للكافرين من قوم رسول اللّه ﷺ؛

(1) الرّاغب، المُفرَدات، وابن منظور، لسان العرب: (دمر)، الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 2/ 606.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (دمر).
(3) مُقاتِل، تفسير مقاتل بن سليمان: 3/ 234.
(4) ابن كثير، تفسيرُ القرآنِ العظيم: 6/ 110.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 217.

ليُقلعوا عن كفرهم، ويُنيبوا إلى ربّهم، وفي التّذكير بنصر موسى تسليةٌ للرّسول في مواجَهة أعدائه، وفيه تعريضٌ بوعد الله بالنّصر لرسوله ﷺ[1].

معنى اللّامِ ودلالتُها في (لقد):

قَسَمٌ فيه إشارةٌ إلى مكانةِ ما أُنزِل على موسى عليه السلام

اللّامُ واقعةٌ في جوابِ القَسَم مُقترِنة بـ(قد) التّحقيقيَّةِ الَّتي تُقرّب الماضي من الحال[2]، والقَسَم دالٌّ على التّوكيد، وفيه إشارة إلى أهميَّة الكِتاب الَّذي آتاه الله تعالى موسى عليه السلام ويَرُدُّ على أيّ إنكارٍ أو شكٍّ أو تحريفٍ فيه.

غرضُ التّوكيدِ في إيتاءِ موسى الكتابَ:

وعيدٌ إلهيٌّ أنْ لا مَفرّ للمُكذِّبين مِنَ العذابِ والتّدميرِ

صَدّر النّظمُ الجليلُ قولَه تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾ بمؤكّدَيْن؛ الأوّل: لامُ القَسَم، فإنّه على تقدير: واللهِ[3]، والثّاني: حرفُ التّحقيقِ (قد)، والغرضُ منه: توكيدُ الخبرِ الدّالِّ على إيتاء الكتاب، باعتبار أنّه رسالةٌ إلَهيَّةٌ مُشتمِلةٌ على الوعيدِ بعذابِ الكافرين وتدميرِهم[4]، وفيها الوعدُ ببشارةِ المؤمنين ونصرِهم.

دلالةُ التّعبيرِ بفعلِ الإيتاءِ مُسنَدًا إلى ضميرِ العَظَمَةِ:

إيتاءُ موسى الكتابَ تَجَلٍّ لعَظَمةِ اللهِ وقُدرتِهِ المُطلَقةِ

لَمّا ورد التّعبير عن فعل الإيتاءِ أُسنِدَ إلى الضّمير (نا) العائدِ عليه سبحانه بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾؛ على معنى (أنّنا آتينا موسى الكتاب بما لدَينا منَ الجَبَروت والعَظَمة)[5]، فهو صاحب القوّة والقُدْرة المُطلَقة، وفيه إشارةٌ إلى الذّات الإلَهيّة المتعالية، ومنه يكتسب المُنَزَّلُ والمُنَزَّلُ عليه الأهميّةَ العُظمى والشّرفَ الجليل؛ ليكونَ أحرى بأن يَلتزم به الخَلْقُ، فيأتمِروا بأوامره، وينتهوا عن نواهيه.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 25.
(2) الدُّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 6/ 484.
(3) الشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 88.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 25.
(5) البقاعيّ، نَظْمُ الدُّرر: 13/ 383.

معنى (أل) في لفظِ ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾:

الألف واللّام في قوله تعالى: ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ دالّةٌ على العهد؛ فالمُرادُ بـ ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ المُنَزَّل على موسى ﷺ؛ وهو التَّوراة[1]، فقد أنزلَ اللّهُ تعالى على موسى ﷺ التّوراةَ، وبيّن فيها الشّرائعَ؛ ليَهتديَ بها بنو إسرائيل وليعملوا بها.

التّـوراةُ الكتابُ الَّـذي أُنـزِل على موسى ﷺ هدًى لبني إسرائيلَ

غرضُ التّقديمِ والتّأخيرِ بين مفعولَي الإيتاءِ:

جاء تقديمُ ﴿مُوسَى﴾ على ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ للإشارة إلى مكانته العظيمة ﷺ، ودورِه المِحوريّ في الرّسالة الإلَهيّة؛ فهو الأصل في الدّعوة، وهو نبيّ اللّه تعالى الَّذي اختاره لتبليغ رسالته إلى البشريّة، وهو الحامل للكتاب الَّذي يَضمّ تعاليمَ المَولى سبحانه وأحكامَه، وهو التّوراة[2].

الإشـــارةُ إلى المكانةِ العظيمةِ لموسى ﷺ

نُكتَةُ البَدءِ بالحديثِ عن موسى ﷺ:

ابتُدِئَ بذِكر قِصّة موسى ﷺ؛ لأنّه أقرب زمنًا من أصحابِ القَصَص الآخَرين، وأنّه ما زال في ذاكرةِ العربِ بقايا من شَرعِه، ويُؤيّد ذلك كلَّه ما رويَ أنّ الَّذين قالوا: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ [الفرقان: 32] هم اليهود، فيكون الابتداءُ بموسى وقومِه أظهَر[3].

مـــوسى أقـــربُ زمنًا من غيره، وما زال شرعُه حاضرًا في أذهانِ العربِ

معنى الواو في قولِهِ: ﴿وَجَعَلۡنَا﴾:

الواو في قولِه تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ﴾ دالّةٌ على العطف من دون ترتيبٍ، وهذا شأنُها في لسان العرب؛ فهي لمُطْلَقِ الجمعِ[4]؛ لكيلا يَلزَمَ من هذا أن يكون هذا الجَعْلُ بعد إنزالِ الكتابِ[5]؛ فالواو هنا للجَمع بينَ الإتيانِ والجَعْلِ مُطلَقًا من غير ترتيبٍ.

العطفُ لمُطلَقِ الـجـمـعِ بـيـنَ الإتيانِ والجَعْلِ من غيرِ ترتيبٍ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 451.
(2) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 14/ 93.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 25.
(4) المراديّ، توضيح المقاصد: 1/ 132.
(5) البقاعيّ، نظْمُ الدُّرر: 13/ 384.

دلالةُ التّعبيرِ بحرفِ المَعيّة (مع):

معـيّـةُ هـارونَ مـؤازرةٌ إلَـهيّـةٌ وتسليَةٌ ربّانيّةٌ لموسى عليه السلام

التّعبيرُ بحرفِ المعيّة في قوله تعالى: ﴿مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾؛ لزيادة التّسلية لنبيّ الله موسى عليه السلام في مواجَهة الصّعوبات والتّحدّيات الجَمّة في مَهمّته لنشر رسالة ربّه، فإنّ مواجَهة تلك التّحديات منَ الاثنين أقوى وأمضى، وردُّها ممّن أُرْسِلَت إليهم أبعد[1]، فوجودُ أخيه هارون معوانٌ له على تحمُّل الأحداثِ الجِسام، وتخفيفٌ عن بعض ثِقَلِها، فإنّ أعباء الرّسالة لا تُحْمَل ولا تُظْهَر إلّا بمُعينٍ، كما أنّ في التّعبير بالمَعيّة مفارقةً إلهيّةً عميقة، حيثُ يُقْرَن نَبيٌّ عظيم بنبيٍّ آخر، مع التّأكيد على مكانة الأوّل وتَقَدُّمه وأصالته في أمر الدّعوة والرّسالة[2]، في إشارةٍ إلى معيّةٍ معنويّةٍ ومكانيّةٍ فريدة، تُبيّن دورَ هارونَ عليه السلام سَنَدًا وظهيرًا لموسى عليه السلام، في رحلةِ الرّسالةِ والنّبوّةِ.

غرضُ تقديمِ ﴿مَعَهُۥٓ﴾ على مفعوليّ الجعلِ:

تـأكـيـدُ مكانة مـوسى ووزارة هـــــارون، وبـيـانُ الـتّرابـطِ والـتّـعـاونِ في تبليغِ الرّسالةِ

قُدِّمت صفةُ المَعيّةِ على مفعولَي الجَعْلِ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾ لعِدّةِ أسبابٍ؛ منها: تأكيدُ أصالة موسى عليه السلام بالرّسالة، وأنّ هارون عليه السلام كان مُساندًا له ومُؤازرًا، والإشارةُ إلى مُلازَمة هارونَ لموسى في خُطواته كلِّها، وإظهارُ التّرابط والتّعاون بينَهما، والتّأكيدُ على أهمّيّة دورِ هارون عليه السلام، وأنّه كان مُكَمِّلًا لدورِ موسى عليه السلام.

غرضُ الإسنادِ للضّمير الدّالّ على التّعظيم ﴿وَجَعَلْنَا﴾:

تـجـلٍّ لعَظَمة الـلـهِ في جَـعْـلِ هـارونَ وزيـرًا في رحـلـةِ الـهـدايـةِ والنّصرِ

أُسْنِد فعلُ الجَعْل إلى الضّمير (نا) العائدِ عليه ﷻ بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا﴾؛ للدّلالة على عظمة الله تعالى[3] وقُدْرته المُطلقة على تدبير الأمور؛ فالله تعالى هو الَّذي اختار هارونَ ليكون وزيرًا

(1) البقاعيّ، نظْمُ الدُّرر: 13/ 384.
(2) ابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 7/ 334.
(3) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 384.

لموسى، وهو الَّذي مَكّنَه من أداء هذه المُهمّة على الوجه الأكمل؛ دعمًا لأنبيائه ورسُله ﷺ، ونصرًا لهم.

سِرُّ التّعبيرِ بمفعولَيْ: ﴿وَجَعَلْنَا﴾:

فعلُ الجَعْل في قولِه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾ يقتضي وجودَ مفعولَيْن؛ الأوّل: ﴿أَخَاهُ﴾، والثّاني: ﴿وَزِيرًا﴾[1]؛ فالمفعولُ الأوّلُ: إشارةٌ إلى رابطة الأُخوّة القَويّة الَّتي جمعت بينهما؛ فهي ليست مُجرّدَ رابطةِ دَمٍ ونَسَبٍ؛ بل كانت أُخوّةً في العقيدة والرّسالة، والمفعول الثّاني: فيه دلالةٌ على أنّ هارون ﷺ لم يكن مُجَرَّد مُعينٍ لموسى ﷺ؛ بل كان وزيرًا له يُشارِكُه في المسؤوليّة، ويُساعدُه في أداء مَهمّته.

أُخـــــوَّةٌ في النّسبِ ومُؤازرةٌ فـي الـعـقـيـدةِ والرّسالةِ

ويجوز أن يكون المفعولُ الثّاني ﴿مَعَهُۥ﴾ والمفعولُ الأوّل ﴿أَخَاهُ﴾ على أن يكون قولُه: ﴿وَزِيرًا﴾ حالًا[2]، فرابطَةُ الأُخوّة موجودةٌ في الاحتمالَيْن مفعولًا أوَّلَ، ثمّ جعَلَ المَعيَّة مفعولًا ثانيًا، وفي ذلك تأكيدٌ على مكانةِ موسى ﷺ رسولًا وقائدًا، وكأنّ هارونَ ﷺ كان يُلازمه في كلّ خُطوةٍ من خُطواته، وحالُهُ ﴿وَزِيرًا﴾ أن يكون على صفةٍ منَ الحِكْمة والرّأي السّديدِ، وأن يكون مُؤازِرًا ومَلْجَأً لموسى عند اشتدادِ الخطوبِ.

أُخـوّةٌ ومشاركةٌ وعـونٌ لموسى في مواجَهةِ المُلِمّاتِ

دلالةُ التّعبيرِ بـ﴿وَزِيرًا﴾ مادّةً وصيغةً:

الوزيرُ صيغةُ (فَعيل) بمعنى (فاعِل)؛ أيْ: مُؤازِرٌ ومُعينٌ، واشتقاقه مِنَ الأَزْر، وهو القوّة، وأصله: أن يَشُدَّ المَرءُ ظَهْرَه بإزارٍ عند إقبالِه على عملٍ مُتْعِبٍ، والمعنيُّ به في الآية هارونُ ﷺ في مؤازَرةٍ إلَهيّة، وتعريضٍ بالرّدّ على المشركين بقولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 7]، فقد اقتضت حِكْمتُه تعالى أن

هـــارونُ أعـظـمُ مَـــؤازرٍ لـموسى في أداء مَهمّته ورسالتِه

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 217.

(2) السَّمين، الدُّرّ المَصون: 8/ 482، والدُّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 6/ 484.

يُؤَيّدَه برسولٍ مثله، لا مَلَكٍ كما ادَّعَوا وطلبوا[1]، وأورد لفظُ الوزيرِ نَكرةً في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا﴾؛ لإرادةِ أنّ هارون كان وزيرًا عظيمًا، وأنّه كان يُعين موسى ﷺ في مَهمَّتِه خيرَ إعانةٍ، وآيةُ ذلك: أنّ اللّه تعالى اختار هارونَ ليكونَ وزيرًا لموسى ﷺ، لحِكْمة يعلمُها هو، وأنّه كان خيرَ سَنَدٍ له في تبليغ الرّسالة.

معنى الفاء في قوله: ﴿فَقُلۡنَا﴾:

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ﴾ دالّةٌ على العطفِ معَ التّرتيب[2]، فإنّه قال لهُما ذلك بعد أن امتنّ عليه بأن جعلَه وزيرًا[3]، ويدلُّ ترتيبُ الأحداث على أنّ الحقّ ﷻ قد أراد منهما ﷺ أن يُدْرِكا أنّ جَعْلَه هارونَ وزيرًا هو مُقدّمة لأمرهما بالذّهاب إلى فرعون، وأنّه تعالى يُقدِّم ما يُمهّد للأمر، وأنّه لا يُكلّف عباده إلّا ما يستطيعونه.

جَعْلُ اللهِ هارونَ وزيرًا ترتيبٌ مُحْكَمٌ، وإعدادٌ لمَهمَّةٍ عظيمةٍ

دلالةُ إسنادِ فعلِ القولِ إلى ذاتِهِ العَليَّة:

أُسنِدَ فعلُ القولِ إلى الضّمير (نا) العائدِ عليه سبحانه في قولِه تعالى: ﴿فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ﴾، مُكلِّفًا إيّاهما بمَهمَّة الدَّعوة والتَّبليغ؛ تشريفًا لهما، وتنويهًا بأمرهما[4]، ولِما لذلك الإسناد من صفةِ القَداسةِ والعَظَمةِ، وصِحّةِ الرّسالةِ وصِدْقِها.

النّداءُ الإلهيُّ للرّسولَيْنِ الكريمَيْنِ تشريفٌ لهما، وتنويهٌ بأمرِهما

غرضُ التّعبيرِ بالأمرِ في قوله: ﴿ٱذۡهَبَآ﴾:

فعلُ الأمر منه تعالى في قوله: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ دالٌّ على إلزام الحُجَّة ببعثةِ الرُّسل إلى النّاس[5]؛ لتبليغ الرّسالةِ الإلَهيّة، وإرشادِهم إلى طريق الحقّ، والمُكَلَّفان هما: موسى وهارونُ ﷺ، كما أنّ الأمر بالذّهاب في قوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَى

إلزامُ الحُجّةِ على النّاسِ ببَعثةِ الرُّسلِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 25.

(2) "وهذا هو شأن الفاء في العطف، فإنّها تفيد التّرتيب مع الوجوب مُفارِقة بذلك الواو"، ينظر: ابن الورّاق، علل النّحو، ص: 377.

(3) البقاعيّ، نَظْمُ الدُّرر: 13/ 384.

(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5279.

(5) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 14/ 93.

﴿ٱلۡقَوۡمِ﴾ نداءٌ ربّانيٌّ لموسى وهارون ﷺ فيه إيماءٌ إلى إقدامِهما على أمر جليل سيواجِهان فيه صعابًا، فمَهَمَّتُهما ليست سهلةً؛ بل هي مليئةٌ بالتّحدّيات والصّعاب؛ لأنّهما سيواجهان قومًا عُتاةً مُنغمِسين في الكفر، يتسابقون إليه بدلَ الإيمان[1]، وهنا تبرز عَظَمةُ رسالتِهما، ودورُهما في هداية القوم، وإخراجِهم منَ الظّلمات إلى النّور.

معنى (أل) في ﴿ٱلۡقَوۡمِ﴾:

(أل) في قوله تعالى: ﴿ٱلۡقَوۡمِ﴾ دالّة على العهد؛ فإنّ الأمر منه تعالى إلى موسى وهارونَ ﷺ كان أمرًا بالذّهاب إلى قوم بأعيانِهم، وهم القِبط ذَوو القوّة والقُدرة[2].

سِرُّ وصفِ القومِ بقولِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾:

قولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وصفٌ للقومِ منه تعالى، وليس مَقولًا لموسى وهارون، فإنّ التّكذيبَ لَمّا يقع من قومهم بعد، لكنّه وصفٌ لقارئ القرآن أنّ موسى وهارونَ ﷺ قد بَلّغا الرّسالةَ، وأنّ الحقّ سبحانه قد أظهر الآياتِ، فما كان من قومهما إلّا التّكذيبُ المُستَحِقُّ للتّدمير[3]، وفي ذلك تعريضٌ بالمشركين في تكذيبهم الرّسولَ ﷺ[4]؛ فإنّهم إنْ فعلوا ذلك، وأشبهوا قومَ موسى في تكذيبِهم، استحقّوا العذابَ الأليمَ.

شهادةُ القرآنِ لقومِ فرعونَ بصفةِ التّكذيبِ المُستَحِقِّ للتّدميرِ

غرضُ التّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ وصِلتِه:

غرضُ التّعبير بالاسم الموصول في قولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الإيماءُ إلى عِلّة بناء الخبر على الصّلة[5]؛ أيْ: إنَّ تكذيبَهم بآيات الله تعالى عِلّةٌ وسببٌ لعقاب الحقِّ سبحانه لهم بالتّدميرِ.

إيماءٌ إلى علّة بناء الخبر على الصّلة، فتكذيبُهم سببُ تدميرهم

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5279.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 384.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 25.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 25.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 26.

معنى الباءِ ودلالتُها في قولِه: ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾:

إيـذانٌ بتمامِ المُلابَسةِ وكمالِ المُصاحَبةِ في تكذيبِ آياتِنا

الباءُ في قوله تعالى: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ دالَّةٌ على المُلابَسةِ والمُلاصَقةِ والمُصاحَبةِ، وهو معنًى من معانيها الشّائعةِ في لسانِ العربِ[1]؛ فهم قد رَضوا بتكذيبِهم بالآياتِ، ومالوا إليه، ولابَسوا ذلك التّكذيبَ حتّى صارَ من خِصالِهم؛ فكان أن أصابَهُمُ التّدميرُ بإغراقهم واستئصالِهم.

نُكْتَةُ جمعِ الآياتِ وإضافتِها إلى ضميرِ العَظَمةِ:

آياتٌ متراكِمةٌ عظيمةٌ، وتكذيبٌ مُستمرٌّ

التّعبير عنِ الآيات بصيغة الجمع مع إضافتها إلى ضمير العَظَمة في قوله تعالى: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾؛ للاستدلال على كثرتها وعَظَمتِها، بصدورها من رَبّ السّموات، وهي الآياتُ المَرئيّةُ والمسموعةُ الَّتي كَذّب بها قومُ موسى ﷺ، سواءٌ كانت منَ الأنبياء الماضين قبلَ مجيء هارون وموسى، أو منهما بعدَ مجيئِهما[2]، ويجوز أن يكون التّكذيب حاصلًا بآيات الحقّ ﷻ التّكوينيّة، وهي العلاماتُ الَّتي خلقها اللّهُ تعالى في الدّنيا، ويجوز أن يكون التّكذيب بالرّسل، أو بكُتب الأنبياء الَّذين سبقوا موسى ﷺ[3]، وآيةُ ذلك أنّ موسى ﷺ لم يكن قدِ التقى بهم، ولم يكن قد عرَض عليهم ما معه منَ الآيات[4].

معنى الفاءِ في قولِه: ﴿فَدَمَّرْنَـٰهُمْ﴾:

حُكمٌ إلهيٌّ عادلٌ في تدميرهم بعد تكذيبهم

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾ دالَّةٌ على التّعقيبِ كما هو شأنها في العطف في كلام العربِ، فإنْ قيل: إنّ الإهلاك لم يحصُل بعد الأمر بذهابهما؛ بل بعد مُدّةٍ ليست قصيرةً؟ والجواب عن ذلك: أنّ التّعقيب هنا يُحمَل على الحُكم لا على الوقوع[5]؛ أيْ: في

(1) ابن السّرّاج، الأصول في النّحو: 1/ 210.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 13/ 384.
(3) إسماعيل حقّي، روح البيان: 6/ 211.
(4) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 10/ 22 - 23.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 458 - 459.

أنّه تعالى حَكَم عليهم بالتّدمير والإهلاك بموجب تكذيبهم، ويجوز أن تكون الفاء في ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ﴾ دالَّةً على ما حُذِف منَ الكلام؛ اكتفاءً بغيره، فتُسَمّى هذه الفاءُ بالفصيحة[1]؛ لأنّها تُفْصِحُ عنِ المَحذوف الَّذي يُقَدِّره المُخاطَبُ منَ السّياق؛ كقوله تعالى: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشّعراء: 63]، والمعنى: أن تكون هناك استجابةٌ لفعل الأمر من ﴿ٱضْرِب﴾ [الشّعراء: 63]، وهو الضّرب، فيحصل منه الانفلاقُ[2]، أو أنّ الفاء في ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ﴾ مؤذِنةٌ بالتّفريع[3]، فجملةُ التّدمير مُفَرَّعةٌ على جملة التّكذيب، ومشتقّةٌ منها، فالتّدميرُ نتيجةٌ حتميّة لتكذيب قوم موسى، والتّدمير هو الَّذي يُقْصَد مِنَ الموعظة والتّسلية[4]، فاللّهُ تعالى ليس بغافل عمّا يعمل الظّالمون؛ بل سيَجزيهم عقابًا عادلًا.

دلالةُ التّعبيرِ بالتّدميرِ مادّةً وصيغةً:

الهلاكُ الشّديدُ البالغُ جزاءً لكفرهم وتكذيبِهم

لفظ التّدمير في قوله تعالى: ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾ دالٌّ على الهلاك الشّديد البالغ، والأصل فيه: أن تَكسِرَ الشّيءَ على وجهٍ يستحيل معه إصلاحُه[5]، وقد عَبّر النّظمُ الجليل عن ذلك بالفعل المُضَعَّف (دَمّرَ)؛ الدّالِّ على المبالغة والتّكثير في غالبِ أحوالِه في كلام العربِ[6]، فهو إهلاكٌ شاملٌ وسريعٌ وقويّ، استأصلَهم من جُذورهم، فلم يُبْقِ لهم أثرًا.

بلاغةُ الإيجاز بالحذفِ في فعل التّدمير:

فقلنا: اذهبا؛ فذهبا؛ فكذّبوهما؛ فدمّرناهم تدميرًا

في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾ ثمّة كلامٌ محذوفٌ استُغْنِيَ عنه بدلالة المذكور،

(1) هي الفاء الَّتي تُفصِح عن محذوف يقدِّره المخاطَب من السّياق، ينظر: الدّرّة، فتح الكبير المتعال: 1/ 58.
(2) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 14/ 93.
(3) هي الفاء الَّتي تَربِط جُملتَيْن فيكون ما قبلها عِلّةً لِمَا بعدها، وما بعدَها فرعًا عنه، ينظر: الصّبّان، حاشية على الأشموني: 3/ 142.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 25.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 106.
(6) سيبويه، الكتاب: 4/ 64.

وهو جوابُ فعلِ الأمر منَ الذّهاب؛ تقديره: (فذهبا فكذّبوهما فدمّرناهم حينَئِذٍ تدميرًا)، وهو على طريقةِ قوله: ﴿ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشُّعراء: 63]؛ والمعنى: فضربَ فانفلقَ[1].

نُكْتَةُ إسنادِ التّدميرِ إلى ضميرِ العَظَمةِ:

القُدرةُ الإلَهيّة تتجلّى في تدمير قوم موسى

في إسنادِ فعلِ التّدميرِ لضميرِ العَظَمةِ (نا) في قولِهِ تعالى: ﴿فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرًا﴾ إيذانٌ بأنّ هذا التّدميرَ صادرٌ ممّن يتّصفُ بالعَظَمة والجَبروت، وتلميحٌ إلى قُدْرته المُطلَقة تعالى، وأنّه لا رادَّ لأمره وقضائه، وفي ذلك إدخالُ الرّهبة والخوفِ في قلوب مَن يكون على شاكلةِ اليهودِ وأمثالِهم، فإنّ الحقّ بعَظَمته وجلالِه هو مَن يُباشِر عذابَهم.

غرضُ توكيدِ التّدميرِ بالمفعولِ المُطلَقِ وتنكيرِه:

إهلاكٌ ماحِقٌ كاملٌ استأصلَهُم من جُذورهم

لَمّا حَكَم عليهم اللّه تعالى بالتّدمير بقوله: ﴿فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ﴾، أكّد هذا التّدميرَ والإهلاك بالمفعول المُطلَق، وهو قولُه: ﴿تَدۡمِيرًا﴾؛ أي: تدميرًا ماحِقًا كاملًا لا رجعةَ فيه، فلم يُبقِ منهم أحدًا[2]، جزاءً لهم على كفرهم وتكذيبهم، وجاء بالمفعول المُطلَق مُنَكَّرًا ﴿تَدۡمِيرًا﴾؛ لِما في تنكير المَصدَر من دلالة التّعظيم؛ أيْ: دمّرناهم تدميرًا عظيمًا، بأن أغرقناهم في اليمِّ[3]، عِبرةً لِمَن كان خلفهم وآيةً.

بلاغةُ الإيجازِ في قصّةِ موسى عليه السلام:

إيجازٌ عجيبٌ ودلالةٌ واضحةٌ على استحقاقِ الأُممِ التّدميرَ بتكذيبِهم رُسُلَهم

اشتملتْ قِصّةُ موسى عليه السلام في هذه الآية على إيجازٍ بليغٍ عجيبٍ، إذْ تَركَّزَ النّظْمُ الجليلُ على نقطتيْن مُهمَّتيْن مقصودتَيْن في القصّة؛ هما بدايتُها ونهايتُها؛ لإيصال رسالةٍ مَفادُها: إلزامُ الحُجّةِ بِبَعْثةِ الرُّسلِ، وأنّ الأُمم تستحِقّ العذابَ إذا كَذّبت رسلَه تعالى؛ وهو عذابُ التّدميرِ والهلاكِ والاستئصالِ[4].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 280.
(2) النّخجوانيّ، الفواتح الإلهيّة والمفاتح الغيبيّة: 2/ 28.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 26.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 2/ 539.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التّدمير والإهلاك والتّتْبير:

التّدمير: إدخالُ الهلاكِ على القومِ أو الشّيءِ[1]، والتّتْبيرُ: التّكسيرُ[2]، وتَبَّرَه: كَسَّره وأَهْلَكه، وكلُّ شيءٍ كَسَّرْتَه وفَتَّتَّه، فقد تَبَّرْتَه[3]، والإهلاك يدلُّ على كَسْر وسقوط[4]، وهو مُحتمِلٌ لعدّة معانٍ؛ كالوقوع في أمرٍ شديدٍ، أوِ افتقادِ الشّيء، وقد يكون بمعنى الموت[5].

التّدمير: إدخالُ الـهـلاكِ على القومِ أو الشّيءِ، والإهـلاكُ كسرٌ وسـقـوطٌ، والتّتْبيرُ التّكسيرُ

واستعمالُ لفظ التّدمير أقربُ إلى الدِّقَّة في المعنى، إذ يُشير إلى الهدم الشّاملِ التّامّ، ممّا يدلّ على أنّ عذابَ اللّهِ تعالى لهؤلاءِ الكافرين كان عذابًا عظيمًا لا مثيلَ له، فلا الإهلاكُ صالحٌ للتّعبير به؛ لأنّه يَحتَمِلُ دَلالاتٍ مُتباينةً منها الموتُ فحسْب، والمُرادُ: عذابٌ يسبق الموتَ، ولا التّتبيرُ لدلالته على الكسْر؛ وهو غير مُرادٍ.

(1) الرّاغب، المُفرَدات: (دمر).
(2) الرّاغب، المُفرَدات: (تبر).
(3) الزَّبيديّ، تاج العروس: (تبر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (هلك).
(5) العسكريّ، الوجوه والنّظائر، ص: 502.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والثلاثون،
سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 37 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 37 : المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-79-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8644972 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»